القيم بين النسبي والمطلق

المسألة الدولة: السيادة والمواطنة

مدخل اشكالي:

تعتبر الدولة في الفكر السياسي أكثر أشكال التواجد الاجتماعي استقطابا لاهتمام المفكرين والفلاسفة بحكم التحوّل الذي طرأ على الوجود الإنساني منذ وجودها وبحكم النتائج المترتبة عنه وبحكم تعدّد المواقف تجاهها وما يرتبط بها من مفاهيم تثير التساؤل وتطرح إشكالا حقيقيّا:

- فسيادة الدولة تستدعي التساؤل عن حقيقة هذه السيادة وآليات تحققها: فهل هي تلك السيادة التي يدعيها صاحب السلطة والتي تكون ترجمة لإرادته وأداة لخدمته أم هي تلك السيادة التي تعبّر عن إرادة الدولة في كليتها وتحمي وتخدم الأفراد المنتسبين إليها وتُدافع عن حقوقهم؟
- وإذا كان مفهوم الدولة يستوجب حضور السلطة فما الذي يُميّز حضور سلطة الدولة عن أشكال السّلط الأخرى؟ فهل هي سلطة من أجل حفظ الدولة وتحقيق البقاء وحماية السيادة أم هي سلطة تسعى لضمان حريّة الأفراد وحفظ حقوقهم؟
- ولكن القول بسيادة سلطة الدولة يستوجب التساؤل عن حدود هذه السلطة ما إذا كانت سلطة تبقى في حدود الشرّعيّة التي أوجدتها أم هي سلطة قد تنحرف أحيانا لتبلغ مرحلة الاستبداد بما هو طغيان السلطة وتجاوز لسيادة المواطن؟
- إنّ البحث في العلاقة بين السيادة والمواطنة يُثير مشكل العلاقة بين الطاعة والخضوع وبين الحريّة والعبوديّة، الالزام والالتزام... فما هي الحدود والفواصل بين هذه الأزواج المفهوميّة؟ وإلى أيّ حدّ يمكن القول بالتوافق بين السيادة والمواطنة؟ ألا يُؤدّي الإقرار بالمواطنة كقيمة إنسانيّة إلى تجاوز المفهوم التقليدي والضيّق للدولة (ذلك الذي يحدّها بالعوامل الجغرافيّة) نحو القول بالدولة الكليّة والمواطنة العالميّة؟

المفاهيم:

- **الدولة:** هي الكيان/الجسم السياسي الذي ينظم مجموعة من الأفراد وفق القانون. وهي السلطة العليا في المجتمع مقارنة مع أشكال السلط الأخرى التي لا تعود إلى سلطة الدولة (سلطة الأب، سلطة المال، سلطة المجتمع،..) إذن الدولة هي شكل من أشكال السلطة.
- **السيادة:** هي بصفة عامّة السمو والعلو والاستقلال وهبي صفة تُنسب إلى سلطة الدولة وهيبتها ونفوذها ويتجلّى ذلك من خلال طاعة قوانينها وتشريعاتها وبالتالي "فالدولة هي السلطة العليا في المجتمع"
- **المواطنة:** نسبة للمواطن وهي المنزلة التي يشغلها الإنسان داخل نظام سياسي مدني بما هو **كائن حرّ ويمتثل لسلطة القانون.** المواطنة هي مفهوم سياسي بدرجة أولى يشير إلى العلاقة الحقوقيّة التي تربط المواطن بالدولة وبغيره من المواطنين. المواطن هو الفرد الذي ينتمي إلى مجتمع منظم تحكمه قوانين يسمى دولة يتمتّع فيها بحقوق ويلتزم بواجبات. المواطنة هي المشاركة الفعّالة في الحياة السياسيّة ومراقبة آليات الحكم والانخراط في الوجود الاجتماعي والمدني .

الباب الثالث : القيم بين النسبي والمطلق

الدولة: السيادة & المواطنة

الاخلاق: الخير & السعادة

مدخل عام:

بما أنّ الفلسفة تسعى إلى طلب الكلّي، فإنّ الكلّي الذي ينشده الفيلسوف ليس كليّا انثروبولوجّيا، ولا ابستيمولوجيّا فحسب، بل هو أيضا كلّي أكسيولوجي (قيمي) يكشف شغف الفلسفة وتطلّعها إلى قيم الحقّ، والعدل، والسعادة والخير والفضيلة...

1) راهنيّة السؤال عن القيم:

لقد أصبح السؤال عن القيم من أهمّ الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا الراهن الحضاري، وهو راهن يكشف عن أزمة قيمية كانت نتيجة هيمنة العقل الأداتي وغياب العقل التواصلي. وهو أيضا أزمة سببها المباشر أن القيم التي يتباهى بها الإنسان اليوم هي مجرّد خطاب يفتقد إلى الممارسة الفعليّة. ليس جديدا أن يشهد العالم الإنساني أزمة قيميّة فتاريخ الإنسانيّة يكشف تطلّعها إلى قيم كونيّة، ولكنّها تظلّ غارقة في النسبي، بل الجديد أن أزمة القيم اليوم تعود أساسا إلى انشداد الإنسان إلى القيم الماديّة، ونسيانه للقيم الروحيّة، وهذا النسيان هو الذي يفرض على الفلسفة أن تستعيد هذا المنسي، وليس من سبيل إلى ذلك إلاّ باستعادة منطق التوافق بدل منطق التعارض الذي يفرضه الواقع الراهن.

2) في البحث عن معنى القيم :

يضعنا السؤال عن القيم أمام صعوبات عديدة، يصعب معها تعريف هذا المفهوم:

- تتمثّل **الصعوبة الأولى** في أن مفهوم القيمة هو تصوّر لما يجب أن يكون وليس لما هو كائن. فالقيمة "فكرة تقوم في الأذهان، وليست واقع يُشار إليه في الأعيان"
- تتمثّل **الصعوبة الثانية** في تمزّق القيم وتراوحها بين الإيجابي والسلبي وبين النسبي والمطلق
- تتعلّق **الصعوبة الثالثة** بالحديث عن مصدر القيم، وهنا نجد أنفسنا أمام اتجاهين متعارضين: **الأوّل** يرى أنّ القيم مفروضة لأنّ مصدرها قد يكون الدين أو المجتمع...(أي الإنسان خاضع للقيم) ، والثاني يرى أنّ القيم من صنع الإنسان، نظرا لأنّها عبارة عن قرار بوجّهه الإنسان للحكم على شيء ما إمّا استحسانا أو استهجانا. وبهذا المعنى تكون القيمة مجال تفضيل أو ترجيح.

رغم هذه الصعوبات، يمكن أن نجازف بتقديم تعريف للقيمة في سياقه الفلسفي، إذ تعرف القيمة بأنها الخاصيّة أو الصفة المعياريّة إن وُجدت في الشيء جعلته مرغوبا فيه أو جديرا في يُرغب فيه، فنتحدّث مثلا عن فيم أخلاقيّة كالخير والفضيلة ...وقيم سياسية كالعدل والحريّة...

3) ممكنات التحالف بين القيم:

إنّ إقامة التحالف بين القيم واخراجها من منطق التعارض إلى منطق التوافق هو الرهان الأساسي للفلسفة وهو رهان يجبرنا على اقتحام مجال الممارسة (البراكسيس) في جانبه السياسي والأخلاقي.